المبحث الثالث

مقاطعة بضائع الأعداء فريضة شرعية وضرورة حياتية وقومية

من أهم الدروس التي تُستفاد من غزوة بني النضير هو ضرورة الحرب الاقتصادية لأعداء الإسلام والمسلمين، وهو ما سنفصل القول فيه في هذا المبحث.

ولكني أريد هنا أن أقول: إنه في ظل هذه الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين من أعدائهم، فلابد أن يراجع المسلمون أمورهم، وخاصة العقائدية في مسألة الولاء والبراء لأعداء الإسلام والمسلمين، فضلًا عن مساعدتهم ومساندتهم في هذه الحرب الشرسة، ولابد أن يكون لهم مواقف عملية تؤكد حقيقة الولاء والبراء لديهم؛ لأنها من أهم أسس العقيدة، وهو ما أكده الله تعالى بعد غزوة بدر الكبرى بقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾[المجادلة].

ومن هذا المنطلق في بيان حقائق هذا الإسلام الذي غفل عنها الكثيرون من أبنائه بسبب الشبهات المثارة حول أحكامه المختلفة، وكذلك الشهوات التي يعرضها عليهم الأعداء ليشتروهم بها من المنصب والمال وغير ذلك، جاء هذا المبحث للإشارة العابرة حول هذا الموضوع الذي تناوله كثير من علمائنا بالشرح والتفصيل.

وسأشير إلى بعض هذه المراجع لمن أراد الاستزادة حول هذا الموضوع الحيوي الهام.

مقاطعة اليهود والأمريكان
من صفات عباد الرحمن [١]

من يحمل هم الإسلام؟: إن هَمَّ الإسلام في هذه الأيام هَمٌّ ثقيل، فإذا ما طُفت بنظرك في أي اتجاه تجده مسفوكة دماه، مهانًا بين العباد، قد تمرغ وجهه في وحل الكفر والطغيان، إذا ما نظرت إلى لون أحمر، وسألت عنه؟ قيل لك: دم مسلم مباح.

حينئذ لابد أن نسأل أنفسنا: من يحمل هَمَّ الإسلام؟

إن الإسلام اليوم لا يحتاج إلى عدد، فالعدد وفير، والمسلمون كثير، يسدون عين الشمس في ضحاها، ولكن يحتاج إلى قلوب تنبض وعقول تفكر وأجساد تتحرك.

---

(١) عنوان كتاب للمهندس/ صالح عبد الحميد البنا ـ ط شركة زهرة المدائن بالمنصورة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م ـ ٧٧ص، وهناك كتاب آخر بعنوان: **مقاطعة بضائع الأعداء فريضة وضرورة** ـ أ/ محمد السيد الشناوي ـ أُحد للدعاية والكمبيوتر ـ القاهرة ٢٠٠٤ م ـ ١٥٢ ص، وقد أخذت من الأخير بعض الفقرات المهمة لاستكمال بعض جوانب الموضوع باختصار، وينظر للتفصيل:

١- **أحكام المقاطعة الاقتصادية في الفقه الإسلامي** (ماجستير) ـ د/ عبد الله عدنان عبد الله القطان ـ إشراف د/ عبد الله محمد الصالح، ود/ محمد بن أحمد باصقر ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة اليرموك ـ إربد ـ الأردن ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م ـ ٢١٥ص.

٢- **حكم مقاطعة بضائع المحاربين للدين الإسلامي** ـ د/ سعد الدين بن محمد الكبي ـ مجلة البحث العلمي الإسلامي ـ عدد خاص بنصرة النبي محمد ﷺ ـ السنة الثانية ـ العدد السابع ـ ربيع الثاني ١٤٢٧هـ/ أيار (مايو) ٢٠٠٦م ـ ص ٦٧-٨٥ ـ طرابلس ـ لبنان.

٣- **المقاطعة الاقتصادية حقيقتها وحكمها** ـ د/ خالد بن عبد الله الشمراني ـ دار ابن الجوزي ـ الدمام ١٤٢٦هـ ـ ٨٨ ص.

٤- **المقاطعة الاقتصادية مفهومها وأحكامها في الفقه الإسلامي** (ماجستير) ـ د/ عبد القادر بن سلطان الدوسري ـ إشراف د/ محمود علي مصلح السرطاوي ـ كلية الدراسات العليا ـ الجامعة الأردنية ـ عمان ـ الأردن ٢٠٠٩م ـ ٢٨٤ ص.

٥- **المقاطعة الاقتصادية: تأصيلها الشرعي، واقعها، والمأمول لها** (ماجستير) ـ د/ عابد بن عبد الله السعدون ـ دار التابعين ـ الرياض ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م ـ ٢٣٥ ص.

٦- **المقاطعة في الشريعة الإسلامية والقانون: دراسة مقارنة** (ماجستير) ـ د/ فضلي صديق إبراهيم مخير ـ إشراف د/ أبو بكر محمد أحمد ـ كلية الشريعة والقانون ـ جامعة أم درمان الإسلامية ـ الخرطوم ـ السودان ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م ـ ٢٧٥ص.

٧- **المقاطعة: فريضة شرعية وضرورة قومية** ـ د/ راغب السرجاني ـ دار التوزيع والنشر الإسلامية ـ القاهرة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م ـ ٩٥ ص.

قلوب تنبض بمشاكله وأحزانه وآماله، وعقول تفكر في حل هذه المشكلات وإزالة تلك العقبات ليسود على ربوع الدنيا، وأجساد تتحرك لتحمل هذه الحلول فتصل إلى نهاية الطريق فتتحقق الآمال؛ ولذا يصبح هو القوة الوحيدة؛ لأنه يستمد قوته من خالقه لا من بشر وطبيعة.

إن الظلام حالك تتجمع كتله لتُغير على أشعة النور فتقتلها ولكن هذه الأشعة ستكون حرابًا مسنونة تصيب الظلام في مقتل فيموت مدحورًا مذمومًا تكسوه أردية الذل والعار.

لنكن ممن قال الله فيهم: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

لنكن ممن قال فيهم الرسول ﷺ: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ**».

[الترمذي في الفتن (٢٢٦٠)، وَقَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ، وَعُمَرُ بْنُ شَاكِرٍ شَيْخٌ بَصْرِيٌّ قَدْ رَوَى عَنْهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ العِلمِ. وقال الشيخ الألباني: صحيح].

فهل نعيش قضية الإسلام؟ هل نُلق الأحلام وراء ظهورنا ونضع الواقع نصب أعيننا وننصر دين الله؟

حينئذ سنكون ممن يحمل هَمَّ الإسلام؟!

فرضية الجهاد في هذا العصر: إن الجهاد في سبيل الله في عصرنا فرض عين على كل مسلم ومسلمة بالنفس والمال واللسان، كل بما يستطيع؛ لأن المسلمين قد اعتُدي عليهم، واغتُصبت أرضهم وديارهم، وطلبوا العون من إخوانهم واستنصروهم، والجهاد في هذه الحالة لا يكون إلا فرض عين على كل مسلم باتفاق العلماء.

ولهذا ففرض عين على كل مسلم في الأرض أن يعاون إخوانه في أرض الرباط والجهاد ـ فلسطين والعراق والشيشان وغيرها ـ بالنفس والمال واللسان، بقدر ما يستطيع.

ومن العون المطلوب والجهاد المفروض مقاطعة أعدائهم وخاصة في البيع والشراء، وهو من الجهاد الاقتصادي.

وقد تأكد لنا أن شراء بضائعهم يمكِّنهم من الربح المالي في ديارنا؛ ليجعلوه سلاحًا قاتلًا لإخواننا في أرض الرباط والجهاد؛ ولهذا كانت مقاطعتهم فرضًا لازمًا.

ماذا نريد بالمقاطعة؟: المقاطعة نعني بها: الامتناع عن التعاون مع الأعداء في مجالات الحياة، وخاصة في مجالات المال والبيع والشراء، فلا نبيع لهم ما يحتاجون إليه من بضائعنا، ولا نشتري منهم بضائعهم بما يقويهم ويمكنهم من الاعتداء علينا.

أو بتعبير آخر هي:

أ ـ منع تدفق الأموال، والمواد الخام، والبضائع، والخبرات الفنية إلى الأعداء.

ب ـ ومنع استيراد بضائعهم وترويجها في أقطار الأمة، والاستغناء عنها بالبضائع الإسلامية، ثم ببضائع البلاد غير المعادية للأمة.

لماذا نقاطع اليهود والأمريكان؟: أجبني عن هذه الأسئلة أولًا أجيبك عن سؤالك؟!

هل أرض فلسطين مِلكٌ للمسلمين أم لليهود والأمريكان؟

هل يرضيك سلب واغتصاب المسجد الأقصى؟!

هل يرضيك ما يحدث للمسلمين من قتل وتشريد على أيدي اليهود؟

أظنك مثلي يدب في عروقك دم الإسلام الحامي سنجيب: بلا، وألف لا، إن أرض فلسطين هي وقف إسلامي مِلكٌ لكل المسلمين في كل بقاع الأرض، ليس لليهود ولا للأمريكان جزء قيد أنملة فيها، وإن ما يحدث لأطفالها وشيوخها ونسائها من قتل وتشريد لينادي بصوت مبحوح ضائع وسط غابة الوحوش:

أين المسلمون؟ أين حماة العِرض ورافعي لواء العزة؟!

إني أرى المسجد الأقصى الآن حزينًا كئيبًا تدمع عيناه دماء ينادي وسط الشتات: أين أنت يا بلال كي تؤذِّن فوقي كما أذنت من قبل يوم فتَح عمر ﷺ مدينتي «القدس».

أين أنت يا صلاح الدين لينادي: هيا للجهاد؟! هيا للجنة؟! فهل من المعقول لذي لب أن يحابي عدوه.

ألا توقن أن اليهود و الأمريكان هم أعداؤك؟

قال ﷺ: «**مَا خَلا يَهُودِيٌّ قَطُّ بِمُسْلِمٍ إِلَّا حَدَّثَ نَفْسَهُ [هَمَّ] بِقَتْلِهِ**» (١).

إن اليهود هُم قَتَلة الأنبياء، وسفاكي الدماء، وأعداء السماء.

الحقد الدفين يملأ قلوبهم، لا يعترفون بشعب من الشعوب غيرهم.

هم السادة وما سواهم عبيد.

ألم تعلم أن غالبية المؤسسات والشركات الأمريكية هي لرجال أعمال يهود؟!

فهل بعد ذلك يحق لك أن تحابي هذا العدو؟! أولى لك أن تقاطعه حتى يتغير قلبه صوبك إلى حب، وحتى يزيل البغض من قلبه فيمتنع عن حربك وعداوتك، ولن يحدث ذلك ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ

---

(١) **ضعيف**: رواه الديلمي والخطيب وابن النجار عن أبي هريرة ﷺ ـ ضعيف الجامع الصغير: ٥٠٦٢، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف ١٠/ ٣٦٢ رقم ١٩٣٧٦ بنحوه، ورغم ضعف سند الحديث إلا أنه أصبح حقيقة لا تُنكر في عالم الواقع!

ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢]، ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ﴾[البقرة: ١٢٠].

أليست هذه آيات القرآن التي تُلقى على أسماعنا ليل نهار ونحن عنها غافلون؟ متى نستيقظ؟! إن مقاطعة اليهود والأمريكان أمر حتمي وضروري، وإنَّ دَعْمَنا لانتفاضة الأقصى وانتفاضة إخواننا في الأرض الحزينة: أرض الإسراء، يتمثل في أشياء منها:

ـ الجهاد بالسلاح.

ـ الجهاد بالمال.

ـ الامتناع ومقاطعة شراء بضائع ومنتجات العدو.

ـ الدعاء لهم بالنصر.

إن الإسلام يطلب منك أن تحمل سلاحًا الآن.

فإن كان في مقدورك أن تفعل فافعل.

وإن لم يكن في مقدورك أن تمتنع عن شراء أي سلعة، وأن تبحث عن مصدرها فإن كانت لشركة يهودية أو أمريكية فحينئذ وجب عليك أن تستبدلها بأخرى من صناعة بلدك أو أهل دينك وعشيرتك.

هل هذا أمر مرهق أن تفعله؟!: أم أننا في السلبية إلى آذاننا، فلا نستطيع الخروج من هذا البحر الذي غرقنا فيه؟؟

المقاطعة عبادة وجهاد: من الوسائل الدافعة إلى مقاطعة الأعداء أن نغرس في أبناء الأمة أن مقاطعة الأعداء وخاصة في البيع والشراء، بنية إضعافهم، ورد عدوانهم عن المؤمنين، قيامًا بفريضة معاونة إخوانهم المجاهدين ونصرتهم، ومشاركتهم في الجهاد والرباط في سبيل الله تكون المقاطعة بهذه النية عبادة لله تعالى، وجهادًا في سبيله، كإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، ومقاتلة العدو في أرض المعركة، ويوضح هذا ويؤكده أمور ثلاثة:

١ـ تقرر في الإسلام أن النية الصالحة تُحوِّل العمل والعادة إلى عبادة لله وجهاد في سبيله، والنبي ﷺ يقول: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ [بِالنِّيَّةِ]، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**». [البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، وغيرهما].

وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**». [البخاري في العلم (١٢٣)، وفي

الجهاد والسير (٢٨١٠)، وفي فرض الخمس (٣١٢٦)، وفي التوحيد (٧٤٥٨)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٤)، وأبو داود في الجهاد (٢٥١٧)، والترمذي في فضائل الجهاد (١٦٤٦)، والنسائي في الجهاد (٣١٣٦)، وابن ماجه في الجهاد (٢٧٨٣)، وأحمد عن أبي موسى الأشعري ﷺ (١٨٩٩٩، ١٩٠٩٩، ١٩١٣٤، ١٩٢٤٠، ١٩٢٤١)].

قال العلماء: النية تؤثر في الفعل، فيصير بها تارة حرامًا، وتارة حلالًا، وصورته واحدة، كالذبح مثلًا، فإنه يحل الحيوان إذا ذبح لأجل الله، ويحرمه إذا ذبح لغير الله، والصورة واحدة.

[إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين ١٠/ ٣٩].

حتى المباحات والعادات الفطرية تتحول بالنية الصالحة إلى عبادة لله تعالى وقربة له، كالأكل والشرب، والبيع والشراء إذا نوى بها المسلم اكتساب القوة لعبادة الله تعالى، ونصرة المجاهدين، ومجاهدة الأعداء تكون عبادة لله تعالى، وجهاد في سبيله يثيبه الله عليه، وفي ذلك يقول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص ﷺ: «**إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً ـ تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ ـ إِلاَّ أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى اللُّقْمَةَ تَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ**».

[البخاري (١٢٩٥)، ومسلم (٤١٨٥)، وأبو داود (٢٨٦٤)، والترمذي (٢١١٦) وأحمد (١٥٢٤، ١٥٤٦) وغيرهم كثير عن سعد ﷺ].

ولهذا قال بعض السلف: من سره أن يكون له عمل فليحسن نيته، فإن الله ﷻ يأجر العبد إذا حسن نيته حتى في اللقمة. [جامع العلوم والحكم في الحديث الأول ١/ ٤٣].

٢ـ امتثال تعاليم الله ورسوله عبادة لله تعالى: ومن ناحية أخرى فإن مقاطعة الأعداء بنية طاعة الله تعالى ورسوله في التعاون مع المؤمنين على البر والتقوى ومجاهدة الأعداء كما في قوله سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢] يكون الامتثال بهذه النية عبادة لله تعالى وقربة له، وجهادًا في سبيله.

المقاطعة هي الجهاد المستطاع:

وما دام المسلم لا يستطيع مشاركة المجاهدين إلا بمقاطعة الأعداء في البيع والشراء، ففرض عليه أن يقوم بها بنية مشاركة إخوانه في الجهاد والرباط، هم يجاهدون بالنفس، وهو يجاهد بالمقاطعة.

والإسلام لم يكلف المسلم إلا ما في استطاعته، والله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٤٢﴾[الأعراف].

والنبي ﷺ يقول: «**مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**».

[مسلم (٦٠٦٦) وغيره عن أبي هريرة ﷺ، كما في صحيح الجامع ٥٨١٠].

فإذا قاطع المسلم أعداء أمته بنية مشاركة المجاهدين في جهادهم، حيث لا يستطيع إلا ذلك كان شريكًا لإخوانه في الجهاد والرباط.

وفي غزوة تبوك عجز جماعة من المؤمنين عن الخروج فيها؛ لفقرهم وعجز الجيش عن حملهم معه مع

رغبتهم الشديدة في الخروج فيها؛ ولهذا عدهم النبي ﷺ في المجاهدين الخارجين فيها، وفيهم يقول ﷺ: «**إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**».

[البخاري (٢٨٣٩)، وغيره عن أنس ﷺ، كما في صحيح الجامع ١٥٧٥].

وفي رواية: «**لَقَدْ تَرَكْتُمْ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ، وَلَا قَطَعْتُمْ مِنْ وَادٍ إِلَّا وَهُمْ مَعَكُمْ فِيهِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَكَيْفَ يَكُونُونَ مَعَنَا وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟! فَقَالَ ﷺ: «**حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**».

[البخاري وغيره عن أنس ﷺ، كما في صحيح الترغيب والترهيب برقم ١٢].

وفيهم يقول الله تعالى مبينًا قصتهم وعذرهم: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [التوبة].

إن هذه المعاني إذا غرسناها في أبناء الأمة وتربوا عليها سارعوا صغارًا وكبارًا، رجالًا ونساء إلى مقاطعة أعدائهم في البيع والشراء، وفي غيرهما قيامًا بفريضة النصرة لإخوانهم المجاهدين ومشاركة لهم في الجهاد والرباط الذي فرضه الإسلام على كل مسلم على الأرض.

الولاء للمؤمنين: ومن الوسائل الأساسية لتحفيز الأمة لمقاطعة أعدائها ومجاهدتهم أن نحيي في أبنائها فريضة الولاء للمؤمنين، والعداء لأعدائهم، وأن نغرس فيهم أنها فريضة ربانية لا يجوز للمسلم تركها، وأنها حق المسلم على إخوانه لا يجوز التفريط فيه، والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المائدة].

ويقول: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة].

الإيمان أساس الولاء: والإيمان هو أساس الولاء بين المؤمنين وترابطهم على اختلاف ألوانهم وأوطانهم وألسنتهم، يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة].

ويقول ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ [الأنفال: ٧٢].

والولاء للمؤمنين الذي نريده له صور عديدة، منها:

١ ـ التلاحم بالمؤمنين، والشعور بآلامهم، ومناصرتهم وخاصة في أوقات الشدائد والمحن، كالبنيان الذي تلاحمت لبناته، فيقوى على حمل الأثقال، ومقاومة الأخطار، كما يقول النبي ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ**». [البخاري في الصلاة (٤٨١)، وفي المظالم والغصب (٢٤٤٦)، وفي الأدب (٦٠٢٧)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٥)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٨)، والنسائي في الزكاة (٢٥٦٠)، وأحمد عن أبي موسى الأشعري ﷺ (١٩١٢٧، ١٩١٢٨، ١٩١٦٨)].

«**مَنْ لَا يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ**». [أخرجه الطبراني في الصغير ص ١٨٨، والأوسط ٢/ ١٧١/ ١/ ٧٦٢٦، وعنه أبو نعيم في أخبار أصبهان ٢/ ٢٥٢، وضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة ١/ ٤٨٣ رقم ٣١٢].

٢ ـ اتخاذ الأصفياء والنصراء من المؤمنين وحدهم: فالمؤمنون إخوة، وبعضهم لبعض قوة وإن تناءت بينهم الديار، بخلاف غير المؤمنين فلن يخلصوا لهم أبدًا مهما أحسنوا لهم القول، وخاصة إذا كانوا أعداءهم، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾[آل عمران].

٣ ـ معاداة أعداء المؤمنين: وقد قال علي بن أبي طالب ﷺ: **ثلاثة عدوك: عدوك، وصديق عدوك، وعدو صديقك.**

والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ [الممتحنة]، وإذا ثبت النهي عن مولاة الأعداء لزمت معاداتهم.

والولاء للمؤمنين يقتضي مقاطعة أعدائهم ولابد، وخاصة في مجال البيع والشراء.

ولو غرسنا هذه الفريضة الربانية في أبناء الأمة لسارعوا إلى مقاطعة أعدائهم في البيع والشراء وغيره.

تبصير الأمة بحقيقة أعدائها: ولابد لولاة الأمر من الساسة والعلماء أن يبينوا لأبناء الأمة حقيقة أعدائهم، ويبصروهم بمكرهم وخططهم وموقفهم الحقيقي من أمتهم، حتى لا ينخدعوا بكلامهم، ولا يغريهم بريق شعاراتهم وزخرف ثقافتهم، ولا يطمئنوا لوعودهم؛ ولهذا أكثر الله من الحديث عن أهل الكتاب والمشركين في القرآن، مبينًا أخلاقهم ومكرهم وعداوتهم للإسلام وأهله، يقول ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾[الأنعام].

أي: أن الله تعالى فصَّل الآيات وبيَّن الأخبار عن المجرمين لتتضح معالمهم ومناهجهم وأخلاقهم وخططهم أمام المؤمنين؛ ليميزوا الحق وأهله ويوالوه، ويعرفوا الباطل وأتباعه ويعادوه.

ومن قرأ القرآن الكريم وجد هذا واضحًا، وجد أن الأعداء لا يُضمرون حبًّا للأمة، ولا يريدون لها خيرًا، وإنما يسعون إلى الإضرار بها وإزالتها بما استطاعوا من الطرق سواء أكان عن طريق بضائعهم أم عن طريق غيرها.

ويقول ﷻ: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾[البقرة]، ويقول ﷻ: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾[آل عمران]، ويقول ﷻ: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾[المائدة: ٨٢]، ويقول ﷻ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ﴾[البقرة: ٢١٧]، ويقول ﷻ: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الممتحنة]، ويقول ﷻ: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [التوبة]، ويقول ﷻ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾[البقرة: ١٢٠].

وبهذه الآيات وغيرها تظهر حقيقة الأعداء في موقفهم من الأمة، إنهم لا يضمرون لها حبًّا، ولا يريدون لها خيرًا، ويسعون للإضرار بها، ويوم أن تقوى شوكتهم، ويظهروا عليها، يبسطوا إليها أيديهم بالإيذاء والقتال، وألسنتهم بالسب والتشويه، ولا يراعوا فيها أخلاقًا ولا عهدًا، ولن يرضوا عنها إلا بقتل أبنائها، أو ردتها عن إسلامها إن استطاعوا.

وهذا ليس تجنيًا على أعداء الأمة وخاصة من اليهود، فتوراتهم المحرفة ناطقة بأوصافهم هذه، ونسوق نصين منها للبيان:

(١) جاء في سفر المكاتبين الثاني ١٥/ ٨٤ قوله: «**وقال موسى: يا رب لماذا خلقت شعبًا سوى شعبك المختار؟ قال: لتركبوا ظهورهم، وتمتصوا دماءهم، وتحرقوا أخضرهم، وتلوثوا طاهرهم، وتهدموا عامرهم**». [الطريق إلى بيت المقدس ـ د/ جمال عبد الهادي ١/ ١٦٤].

(٢) وجاء في سفر التثنية ٢٠: ١٦، ١٧ قول الرب لموسى: «**وأما مدن هذه الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا فلا تستبقي منهم نسمة ما، بل تحرمهم (تبيدهم) الحيثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحيويين واليبوسيين**».

وذكرت توراتهم صورًا بشعة لطريقة قتلهم أعداءهم تنبئ عن قسوة قلوبهم، كما يقول ﷻ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة].

هذا البيان ـ لو عنينا به ـ من شأنه أن يدفع الأمة لتأخذ حذرها، ولا تأمن أعداءها، وأن تجاهدهم بكل أسلحتها المتاحة لها، وبمقاطعة بضائعهم وإضعاف قوتهم، أو بالجهاد المالي، أو بالجهاد العملي أو بالجهاد المسلح ونحو ذلك؛ ولهذا يقول ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾[الأنعام].

تاريخ المقاطعة العربية: تعود فكرة المقاطعة العربية لليهود إلى عام ١٩٢٢م، وذلك حينما قاطع أبناء فلسطين السلع اليهودية، وكان ذلك ردًّا على مقاطعة اليهود للسلع العربية.

وفي عام ١٩٤٥م بدأ تاريخ المقاطعة العربية لليهود في فلسطين رسميًّا، عندما اتخذت جامعة الدول العربية قرارات وتوصيات بضرورة المقاطعة الاقتصادية لليهود، وتُعتبر هذه المقاطعة عملًا دفاعيًّا مشروعًا أقرته جامعة الدول العربية كإحدى الوسائل التي يستخدمها العرب ضد الاعتداءات الواقعة عليهم من اليهود، كما تُجسد المقاطعة العربية لليهود دفاعًا عن الوجود العربي أمام الصهيونية في احتلال الأراضي العربية والاعتداء على الشعوب وتهديد الأمن القومي العربي.

وفي عام ١٩٥١م أَنشأت جامعة الدول العربية جهاز المقاطعة الاقتصادية لليهود الذي عمل بكفاءة وفاعلية، فقد تم تشكيل لجنة دائمة للمقاطعة بدلًا من اللجنة المؤقتة لمتابعة تنفيذ قرارات المقاطعة، ثم تطورت بعد ذلك، حيث تم نقل عملية المقاطعة من مجرد مقاطعة سلبية إلى مقاطعة إيجابية، بمعنى أن تقوم الدول العربية بإنشاء صناعات ذات أسس اقتصادية؛ لتحل محل السلع اليهودية في الأراضي الفلسطينية أو في الدول العربية الأخرى؛ ليتمكن الفلسطينيون من الاعتماد على السلع العربية والاستغناء عن السلع اليهودية المثيلة.

وانتقلت المقاطعة العربية لليهود من الالتزام الحكومي العربي فقط إلى الالتزام الشعبي، وتم إنشاء مكاتب للمقاطعة في كل دولة عربية؛ لتعمل تحت إشراف مكتب رئيس مقره في دمشق، ويقوم المكتب الرئيس بتنسيق العمل بينه وبين المكاتب الإقليمية، والإشراف على أجهزة المقاطعة، والتوصية بالإجراءات الواجب اتخاذها لتشديد هذه المقاطعة، ومطالبة السلطات العربية في الدول المختلفة بتنفيذ الإجراءات المطلوبة منها في هذا المجال.

نجح هذا الجهاز في بلورة إحكام المقاطعة الاقتصادية لليهود على أسس علمية مدروسة، وتمكن أن يلحق ضررًا ملموسًا ومتراكمًا بالاقتصاد اليهودي الصهيوني.

وفي بداية التسعينات أصاب المقاطعة الفتور في ظل مفاوضات السلام العربية اليهودية.

وفي ظل عودة الانتفاضة إلى الأراضي الفلسطينية عام ٢٠٠٠م وتصاعد العنف الإسرائيلي ضد الفلسطينيين العُزَّل، ارتفعت أصوات عربية تنادي بتفعيل المقاطعة العربية لإسرائيل مرة أخرى.

آثار المقاطعة العربية على إسرائيل [مغاوري شلبي موقع إسلام أون لاين]: لا يمكن إنكار الآثار والخسائر الاقتصادية التي تكبدتها إسرائيل بسبب المقاطعة العربية لها سواء كانت مقاطعة مباشرة أو غير مباشرة، مع أن المقاطعة العربية لإسرائيل لم تحقق كل أهدافها، وذلك لأنها لم تطبق بدرجة عالية.

وتشير بيانات المكتب الرئيس للمقاطعة العربية في دمشق إلى أن الخسائر التي تكبدتها إسرائيل بسبب هذه المقاطعة أخذت في التراكم بمرور الوقت، حتى بلغ إجمالي الخسائر ٩٠ مليار دولار منذ بداية المقاطعة وحتى عام ١٩٩٩م، وذلك رغم اتساع الثقوب في جدار هذه المقاطعة.

والجدول التالي يوضح تراكم خسائر إسرائيل المباشرة بسبب المقاطعة العربية لها منذ بداية المقاطعة العربية الرسمية في عام ١٩٤٥م.

الفترة	خسائر إسرائيل
الفترة من عام ١٩٤٥م ـ ١٩٥٦م	٥٠ مليون دولار
حتى عام ١٩٧٣م	٣٠٠ مليون دولار
عام ١٩٨٣م	٤٥٠٠٠ مليون دولار
عام ١٩٨٨م	٨٧ مليار دولار
عام ١٩٩٩م	٩٠ مليار دولار

وتؤكد تطورات الأرقام في الجدول السابق على ضرورة عدم التقليل من فاعلية المقاطعة العربية لإسرائيل؛ لأنها بلا شك ضيعت على الاقتصاد الإسرائيلي فرص التقدم والازدهار بما يعادل هذه المبالغ.

ولقد أحدثت المقاطعة الشعبية لمنتجات الشركات الإسرائيلية والأمريكية العامة بمصر انخفاضًا كبيرًا في مبيعات تلك الشركات في بعض الحالات إلى أكثر من ٨٠ ٪، في حين أغلقت بعض المحلات فروعها لحين انتهاء الأزمة، وتبرأت كثير من الشركات من تبعيتها لأمريكا ولإسرائيل.

كان ذلك بسبب تصاعد العنف الإسرائيلي ضد الفلسطينيين العُزَّل، وعودة الانتفاضة للأراضي الفلسطينية المحتلة.

وهذا يؤكد أن المقاطعة الاقتصادية لإسرائيل ما زالت سلاحًا فعالًا بيد الشعوب العربية.

جهود غربية أمريكية لإجهاض المقاطعة: تعرضت المقاطعة لإسرائيل ـ وما زالت ـ لمعارضة وضغوط من الدول الغربية خاصة الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا.

فالولايات المتحدة الأمريكية اتخذت إجراءات للضغط على الدول العربية، لإلغاء هذه المقاطعة بحجة تهيئة الأجواء لمفاوضات السلام العربية الإسرائيلية، وبناء جسور الثقة بين الطرفين، والقول بأن المقاطعة ضد الشرعية الدولية وقوانين حرية التجارة العالمية.

وقامت فرنسا بإصدار قانون في عام ١٩٩٧م يرفض مبدأ المقاطعة، وبدأت هذه الدول في استخدام منظمات دولية لتفكيك عرى المقاطعة العربية لإسرائيل، ولعل أحدث مثال لذلك هو ما بدأته الرابطة الدولية لمناهضة العنصرية ومعاداة السامية «ليكرا» في مايو سنة ٢٠٠٠م من حملة ضارية ضد المقاطعة العربية للشركات الأجنبية التي تتعامل مع إسرائيل، وساعدتها في ذلك غرفة الصناعة والتجارة في فرنسا، وذلك بهدف إرساء قاعدة قانونية واستصدار حكم قضائي من المحاكم الفرنسية يكون سندًا ومرجعًا لإرغام الشركات الفرنسية على عدم الانصياع لإجراءات المقاطعة العربية لإسرائيل، حيث قامت هذه الرابطة «ليكرا» بمقاضاة شركة «الميرام» الفرنسية التي عقدت مع إحدى شركات دبي عقدًا لتزويدها بشحنة من الأواني المنزلية، إلا أن شركة دبي اشترطت أن تصدر الشركة الفرنسية شهادة مدونًا عليها أن هذه السلعة فرنسية ولا تحتوي على أي مكون إسرائيلي.

و هذا مثال يؤكد أن الدول الغربية تسعى جاهدة إلى إجهاض المقاطعة العربية لإسرائيل، وفي سنة ١٩٧٩م أصدر الكونجرس الأمريكي قانونًا يعاقب أي شركة أمريكية تلتزم بالمقاطعة العربية.

وفي سنة ١٩٩٥م صدر قانون يمنع بيع أو تأجير أي معلومات عسكرية لأي دولة أو منظمة تمارس أو تطبق المقاطعة ضد إسرائيل.

يدل هذا على أن سلاح المقاطعة سلاح فعال ضد أعداء الأمة العربية والإسلامية، وأن نقطة ضعف الولايات المتحدة الأمريكية التي تساند إسرائيل هي الاقتصاد، وهى مهددة بانفجار رأسمالي أسوأ مما حدث عام ١٩٢٩م، وأي خسارة لها ستؤدي إلى انهيار فعلي في الاقتصاد الأمريكي.

ويرى الكاتب الفرنسي المسلم **رجاء جارودي** أن الحل الأمثل للتخلص من الهيمنة الأمريكية هو: مقاطعة البضائع وصفقات الأسلحة الأمريكية مقاطعة تامة تتمثل عن عقيدة داخلية.

شبهات واهية.. والرد عليها:

هناك فريق من الناس يُثبط الهمم والعزائم المتحركة نحو المقاطعة عن طريق شبهات واهية منها:

١ـ عدم الجدوى والتأثير: عدم جدوى ما تسببه المقاطعة من أضرار على صناعة القرار الأمريكي أو السلوك الهمجي اليهودي.

إن جدوى المقاطعة يظهر عند تحديد الهدف المقصود منها، ومن أهدافها أن يشعر العدو بأثرها في مصالحه المالية والاقتصادية، فإذا أحست الشركات اليهودية الأمريكية بالخطر، فسيكون هناك تأثير على صياغة القرار من هذه الشركات صاحبة النفوذ القوي في أمريكا وإسرائيل، وكلنا يعلم أن المجتمع الأمريكي مجتمع رأسمالي يحكمه الدولار.

وأمامنا مثال على أرض الواقع وهو أن أربع شركات يهودية أمريكية طالبت برفع الحصار عن السودان؛ لأنها المصدر الرئيس للصمغ العربي الذي تعتمد عليه في صناعتها، وأن أمريكا لا تستطيع أن تتحمل أبدًا خسارة مليار أو مليارين من زبائنها إذ سيؤدي ذلك إلى الانهيار الفعلي للاقتصاد الأمريكي، ولننظر ماذا حدث لمحلات «سنسبري» وفروعها في القاهرة عندما قاطعتها جموع الشعب، أغلقت أبوابها.

٢ ـ قلة جودة المنتجات الوطنية: وربما يقول قائل: إن المنتجات الوطنية أقل جودة من المنتجات اليهودية، وما يهمني هو الحصول على منتج بأقل سعر، وأفضل جودة ما دام متاحًا، وإذا لم أحصل عليه أنا سيحصل عليه غيري.

إن المقاطعة الشعبية تستلزم منا البذل، وبالتالي تحتاج إلى تضحيات في سبيل تحقيق الهدف، ولن يضحي إلا صاحب النفس المؤمنة والعزيمة القوية الصادقة، وبغير ذلك تُغلب الأمة على أمرها ويكون الفشل حليف أبنائها.

ومع ذلك نرى نفوسًا لا يهمها إلا مصلحتها حتى ولو كان ذلك على حساب دينها، فنجد أناسًا لا يزال حظ أحدهم مظهرًا فاخرًا أو أكلة طيبة، أو حلة أنيقة، أو مركبة فارهة، أو وظيفة وجيهة، أو لقبًا أجوف، وإن اشترى ذلك بحريته، وإن أنفق عليه من كرامته، وإن أضاع في سبيله حق أمته.

إن في المقاطعة تربية للأمة من جديد على التحرر من العبودية لأدوات الآخرين الذين علموها الإدمان لأشياء لا تنفعها، بل كثيرًا ما تضرها.

إن المقاطعة تعتمد على العقيدة التي توقظ الشعور وتنبه القلوب، وتترك مع كل نفس رقيبًا لا يغفل، وحارسًا لا يسهو، وشاهدًا لا يُجامل ولا يُحابي، ولا يَضل ولا يَنسى، يصحبها في الغدوة والروحة والمجتمع والخلوة، ويدفعها إلى الخيرات دفعًا، ويُجنبها طريق الزلل ويُبصرها سبيل الخير والشر.

والأموال التي تربحها الشركات اليهودية الأمريكية تذهب إلى العدو لكي يقتل بها أبناء جلدتنا، وتكون مساعدة للعدو ضد إخواننا في فلسطين، فهل نلتفت إلى الجودة وقلة السعر بعد ذلك؟!

ألا يجب تشجيع المنتج الوطني الذي يتضرر من منافسة البضائع الأجنبية، وتمكين الشعوب العربية والإسلامية من الاعتماد على النفس والاكتفاء الذاتي، حتى ولو كلفنا ذلك زيادة الأسعار؟

٣ ـ لسنا السبب: وإذا كانت مقاطعة إسرائيل ومن يساعدها أمر واجب، فلماذا نستورد هذه البضائع إلى بلادنا وتكون في الأسواق؟

المقاطعة تكون على مستويين: المستوى الرسمي، والمستوى الشعبي، وما يُقال مقاطعة رسمية يجب أن تمارسها الدول والحكومات، ولكن تضاؤل دور هذه الدول والحكومات في حماية الإنتاج (المنتج)

الوطني، خصوصًا بعد اتفاقيات «الجات» والتزامها بمبدأ الاقتصاد الحر، فضلًا عن أن بعضها قد يصبح مجرد أدوات في يد القوى العالمية المسيطرة على المال والاقتصاد، وسوق السلاح، والإعلام الدولي، والمنظمات الدولية؛ لأنها تُغريها بالقروض والمساعدات المالية والعسكرية، فلم يبق إلا سلاح المقاطعة الشعبية، وهو سلاح في أيدي الشعوب والجماهير وحدها، فلا تستطيع أي قوة في الأرض أن تُبطل مفعوله.

فالأمر يحتاج من الشعوب إلى عزيمة صادقة وثبات على المبدأ حتى تُؤتي المقاطعة ثمارها، وكذا يجب على مستوردي البضائع اليهودية أن يُقلعوا عن استيراد هذه البضائع إلى بلادنا مهما كانت الإغراءات المالية، فإن لم يفعلوا ذلك فقد ارتكبوا إثمًا عظيمًا، بل ويُعتبروا أحد أسباب هزيمة العرب و المسلمين في الأراضي المحتلة، وأحد أسباب وحشية اليهود في المنطقة.

فعلى المستهلك أن لا يتعامل معهم ويقاطعهم حتى يقلعوا عن ذلك.

٤ ـ روح العصر والمسؤولية: وقد يعترض معترض على المقاطعة الشعبية بحجة عدم تلاؤم أسلوب المقاطعة مع روح العصر، أو عدم مسؤولية أصحاب الشركات الأمريكية ومن يمولها من يهود وغير يهود، عن السياسات الأمريكية والإسرائيلية.

إذا كانت المقاطعة لا تلائم روح العصر، فإن الولايات المتحدة الأمريكية تستخدمها لفرض سيطرتها وهيمنتها على أي دولة أخرى، وأحيانًا تستخدمها من أجل نشر التجويع الذي يسببه مثلًا التعامل الأمريكي مع تجارة الحبوب، أو التعامل الأوربي مع الفائض الزراعي والغذائي، أو من أجل نشر العجز في بلدان معينة عن مجرد صد خطر عسكري خارجي، وهو ما يسببه احتكار السلاح والعمل على منع توفر قوة دفاعية لصده، هذا علاوة على عشرات الأمثلة المعروفة عن ممارسات المقاطعة بدءًا بالصين وانتهاء بالعراق.

أليس من المضحك المبكي أن نسمع مثل هذا الاعتراض؟

إن قضية اليهود قضية عقيدة، هم يدافعون عن عقيدتهم إن كان لهم عقيدة، وإلا لتغيرت السياسات والتعاملات بتغير الحكومات، ولكن كل حكومة هي صورة طبق الأصل من سابقتها، وأغلب الشركات بل كل الشركات الأوربية والأمريكية ما زرعت في مجتمعاتنا إلا لضرب اقتصادنا وقتلنا القتل البطيء، وإلا لماذا نجدهم يبيعون منتجًا بأقل من سعره المشترى به؟! من يدفع هذه الخسارة؟! إن الأمر ليس سهلًا هكذا.

أما عن عدم مسؤولية أصحاب الشركات اليهودية عن السياسات الأمريكية فهذا غير صحيح؛ لأن أمامنا مثال على أرض الواقع وهو مطالبة أربع شركات يهودية أمريكية برفع الحصار عن السودان من

أجل الصمغ العربي، وكذلك يمكن لهذه الشركات الضغط على حكومتها إذا استمرت في محاربة الدول العربية والإسلامية إذا تضررت مصالحها.

٥ ـ من يعول الأُسَر؟!: وهناك شبهة قوية تقول: إن الشركات الأمريكية والبريطانية يعمل بها آلاف المصريين يعولون آلاف الأسر، وأن مردود المقاطعة سيقع على هؤلاء المصريين لا على اليهود والأمريكان.

ولقد أفتى العلماء الثقات بأن المنتجات الأمريكية واليهودية حرام ومقاطعتها جهاد في سبيل الله، والمسلم يبتعد عن الحرام ولا يعمل فيه، ويبحث عن عمل آخر حلال، فإذا كانت الخمر حرامًا وملعونة على لسان رسول الله ﷺ، بل لعن كل من له صلة بالخمر من قريب أو بعيد، ومعنى اللعن: هو الطرد من رحمة الله تعالى، والحرمان من رضوانه ﷻ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: **لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ فِي الخَمْرِ عَشَرَةً: عَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَشَارِبَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَآكِلَ ثَمَنِهَا، وَالمُشْتَرِي لَهَا، وَالمُشْتَرَاةَ لَهُ.** [الترمذي في البيوع (١٢٩٥)، وقَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، وَقَدْ رُوِيَ نَحْوُ هَذَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عُمَرَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. **وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح**].

فالعمل في هذه الشركات وترويج بضائع اليهود من قَبيل العمل في الخمر؛ لأن هؤلاء اليهود اغتصبوا أرضنا، وشرَّدوا أهلنا، وفَرضوا وجودهم الدخيل بالحديد والنار، والعنف والدم، وأن كل دينار أو درهم أو جنيه أو ريال يذهب إلى اليهود يتحول إلى صاروخ أو قنبلة أو رصاصة لقتل إخواننا في فلسطين.

كيف نَقبل أن نساعد القَتَلة على إقامة المجازر وحفر القبور لإخواننا وأهلينا؟ كيف نروِّج لاقتصاد القتلة الذين يذبحون أشقاءنا يوميًّا في فلسطين؟! إذا خفنا على رزق هؤلاء العمال فإن الله ﷻ تكفل برزق كل دابة في الأرض بعد أن تأخذ بالأسباب ثم بعد ذلك نتوكل على الله، فقال تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾[هود: ٦].

وهذا يذكرنا بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨﴾ [التوبة].

أمر الله عباده المؤمنين بمقاطعة المشركين فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا، وكان هذا هو الموسم الاقتصادي الذي ينتظره أهل مكة، والتجارة التي يعيش عليها معظم الظاهرين في الجزيرة، ورحلة الشتاء والصيف التي تكاد تقوم عليها الحياة، إنها كلها ستتعرض للضياع بمنع المشركين من الحج، وبإعلان الجهاد العام على المشركين كافة.

وهذه العِمالة لابد وأن تُنتج وتشجع الصناعة المحلية حتى تنافس الصناعات الأجنبية؛ وبذلك يمكن أن تُقام السوق العربية المشتركة، والتكامل الاقتصادي العربي بحسن استخدام وتوظيف هذه الأيدي العاملة.

إن الحركة الشعبية على امتداد العالم الإسلامي لمقاطعة بضائع الأعداء حققت نجاحًا هائلًا، ونأمل أن يمتد إلى مجالات عديدة، حتى يشعر القتلة أن جرائمهم لن تمر بلا عقاب، وأن أبناء هذه الأمة لن يستسلموا للترهيب أو الترغيب، ولن يكفوا عن المقاومة حتى يتحقق النصر بإذنه تعالى، ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج]، ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ۝٢١٤﴾ [البقرة]، وعلى النقابات وأصحاب رؤوس الأموال المصرية توفير فرص عمل لهؤلاء، وهل سمعنا عن أحد تضرر وأعلن أنه لم يجد عملًا لسبب المقاطعة!! لم يحدث ذلك.

من فتاوى العلماء بوجوب المقاطعة للمنتجات اليهودية الأمريكية:

قال د/محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر: «يأمرني ديني بمقاطعة كل بضاعة أو شيء ينفع عدوي ويضعفني ويضرني في الوقت نفسه عسكريًّا أو اقتصاديًّا أو اجتماعيًّا، بصرف النظر عن مصدر هذا الشيء من (إسرائيل) أو من غيرها، وينبغي لي أن أبحث عن البديل الذي يجعلني أستغني عن هذا الشيء أو السلعة». **[مجلة منار الإسلام ـ الإمارات ٢٦/ ١٠/ ٥١]**.

د/يوسف القرضاوي: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد: فمما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة: أن الجهاد لتحرير أرض الإسلام ممن يغزوها ويحتلها من أعداء الإسلام واجب محتم وفريضة مقدسة، على أهل البلاد المغزوة أولًا، ثم على المسلمين من حولهم إذا عجزوا عن مقاومتهم، حتى يشمل المسلمين كافة، فكيف إذا كانت هذه الأرض الإسلامية المغزوة هي القبلة الأولى للمسلمين، وأرض الإسراء والمعراج، وبلد المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله؟ وكيف إذا كان غزاتها هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا؟ وكيف إذا كانت يساندها اليهود في أنحاء العالم؟ إن الجهاد اليوم لهؤلاء الذين اغتصبوا أرضنا المقدسة، وشردوا أهلها من ديارهم، وسفكوا الدماء، وانتهكوا الحرمات، ودمروا البيوت، وأحرقوا المزارع، وعاثوا في الأرض فسادًا، هذا الجهاد هو فريضة الفرائض، وأول الواجبات على الأمة المسلمة في المشرق والمغرب.

فالمسلمون يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، وهم أمة واحدة، جمعتهم وحدة العقيدة، ووحدة الشريعة، ووحدة القِبلة، ووحدة الآلام والآمال كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات: ١٠]، وفي الحديث الشريف: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ، وَلا يُسْلِمُهُ، وَلا يَخْذُلُهُ...**». [البخاري في المظالم والغصب (٢٤٤٢)، وفي الإكراه (٦٩٥١)، ومسلم في البر

والصلة والآداب (٢٥٦٤، ٢٥٨٠)، وأبو داود في الأدب (٤٨٩٣)، والترمذي في الحدود (١٤٢٦)، وأحمد عن عبد الله بن عمر ﷺ (٥٣٣٤، ٥٦١٤)، وعن أبي هريرة ﷺ (٧٦٧٠، ٨٠٤٢، ٨٥٠٥)، وعن واثلة بن الأسقع ﷺ (١٥٥٨٩)، وعن شيخ من بني سليط (١٦١٨٨، ١٦٢٠٨)، وعن عرفجة بن أسعد ﷺ (١٩٧٦٧)].

وها نحن نرى اليوم إخواننا وأبناءنا في القدس الشريف، وفي أرض فلسطين المباركة، يبذلون الدماء بسخاء، ويقدمون الأرواح بأنفس طيبة ولا يبالون بما أصابهم في سبيل الله، فعلينا ـ نحن المسلمين في كل مكان ـ أن نعاونهم بكل ما نستطيع من قوة: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾[الأنفال: ٧٢]، ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[المائدة: ٢].

ومن وسائل هذه المعاونة: مقاطعة البضائع الإسرائيلية والأمريكية مقاطعة تامة، فإن كل ريال أو درهم أو قرش أو فلس، نشتري به سلعة يتحول إلى رصاصة تُطلق في صدور إخواننا وأبنائنا في فلسطين؛ لهذا وجب علينا ألا نعينهم على إخواننا بشراء بضائعهم؛ لأنها إعانة على الإثم والعدوان، لما أسلم ثُمامة بن أُثال الحنفي ﷺ، ثم خرج معتمرًا، فلما قَدِم مكة، قالوا: أصبوت يا ثمامة؟ فقال: لا، ولكني اتبعت خير دين، دين محمد، ولا والله لا تصل إليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ، ثم خرج إلى اليمامة فمنعهم أن يَحملوا إلى مكة شيئًا، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ: إنك تأمر بصلة الرحم، وإنك قد قطعت أرحامنا، وقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فكتب رسول الله ﷺ إليه أن يُخلي بينهم وبين الحمل.

والبضائع الأمريكية مثل البضائع الإسرائيلية في حُرمة شرائها والترويج لها، فأمريكا اليوم هي إسرائيل الثانية، ولولا التأييد المطلق، والانحياز الكامل للكيان الصهيوني الغاصب ما استمرت إسرائيل تمارس عدوانها على أهل المنطقة، ولكنها تصول وتعربد ما شاءت بالمال الأمريكي، والسلاح الأمريكي، والفيتو الأمريكي، وأمريكا تفعل ذلك منذ عقود من السنين، ولم تر أي أثر لموقفها هذا، ولا أي عقوبة من العالم الإسلامي، وقد آن الأوان لأمتنا الإسلامية أن تقول: لا لأمريكا، ولبضائعها التي غزت أسواقنا، حتى أصبحنا نأكل ونشرب ونلبس ونركب مما تصنع أمريكا.

إن الأمة الإسلامية التي تبلغ اليوم مليارًا وثلث المليار من المسلمين في أنحاء العالم يستطيعون أن يوجعوا أمريكا وشركائها بمقاطعتها، وهذا ما يفرضه عليهم دينهم وشرع ربهم.

فكل من اشترى البضائع الإسرائيلية والأمريكية من المسلمين، فقد ارتكب حرامًا، واقترف إثمًا مبينًا، وباء بالوزر عند الله والخزي عند الناس.

إن المقاطعة سلاح فعال من أسلحة الحرب قديمًا وحديثًا، وقد استخدمه المشركون في محاربة النبي ﷺ وأصحابه فآذاهم إيذاءً بليغًا، وهو سلاح في أيدي الشعوب والجماهير وحدها، لا تستطيع الحكومات أن

تفرض على الناس أن يشتروا بضاعة من مصدر معين، فلنستخدم هذا السلاح لمقاومة أعداء ديننا وأمتنا، حتى يشعروا بأننا أحياء، وأن هذه الأمة لم تمت، ولن تموت بإذن الله.

على أن في المقاطعة معاني أخرى غير المعنى الاقتصادي: إنها تربية للأمة من جديد على التحرر من العبودية لأدوات الآخرين الذين علَّموها الإدمان لأشياء لا تنفعها بل كثيرًا ما تضرها، وهي إعلان عن أخوة الإسلام، ووحدة أمته، وأننا لن نخون إخواننا الذين يقدمون الضحايا كل يوم، بالإسهام في أرباح أعدائهم.

وهي لون من المقاومة السلبية، يضاف إلى رصيد المقاومة الإيجابية، التي يقوم بها الإخوة في أرض النبوات، أرض الرباط والجهاد، وإذا كان كل يهودي يعتبر نفسه مجندًا لنُصرة إسرائيل بكل ما يقدر عليه، فإن كل مسلم في أنحاء الأرض مجند لتحرير الأقصى، ومساعدة أهله بكل ما يمكنه من نفس ومال، وأدناه مقاطعة بضائع الأعداء وقد قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنفال].

وإذا كان شراء المستهلك للبضائع اليهودية والأمريكية حرامًا وإثمًا، فإن شراء التجار لها ليربحوا من ورائها، وأخذهم توكيلات شركاتهم أشد حرمة وأعظم إثمًا، وإن تخفت تحت أسماء يعلمون أنها مزورة، وأنها إسرائيلية الصنع يقينًا ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾ [محمد ﷺ]. اللهم بلغت اللهم فاشهد.

د/نصر فريد واصل مفتي جمهورية مصر العربية السابق: دعا الدكتور/ واصل في محاضرته بمسجد النور في إطار الموسم الثقافي لوزارة الأوقاف المصرية مساء الأحد الموافق ١٥/ ١٠/ ٢٠٠٠م الملوك والرؤساء العرب إلى اتخاذ قرار صريح وعملي بالمقاطعة الاقتصادية لإسرائيل والدول التي تساندها موضحًا أن هذا الخيار خيار مناسب لمواجهة العدو.

وقال الدكتور واصل: إننا نمتلك الكثير من الخيارات آخرها الحرب، فالعدو يريد الحرب وهو يسعى إليها لأنه لا يستطيع أن يعيش بدونها؛ ولأن مصالحه لا تتحقق إلا بها، ونحن نريد السلام ولكن السلام القائم على العدل وإعادة الحقوق المغتصبة لأصحابها، وانتقد الدكتور واصل سلبية الدول الإسلامية تجاه ما يحدث في فلسطين المحتلة على أيدي قوات الاحتلال الإسرائيلي.

وفي جريدة آفاق عربية: دعا الدكتور نصر فريد واصل مفتي الجمهورية إلى المقاطعة الاقتصادية الشاملة للمنتجات الأمريكية والإسرائيلية والدول المؤيدة لهما، وأكد أن سلاح المقاطعة سيؤثر على الكيان الصهيوني تأثيرًا كبيرًا؛ لأن المسلمين يمثلون أكثر من خُمس سكان العالم وستحقق مقاطعتهم شللًا للمؤسسات الاقتصادية التي يملكها اليهود وأعوانهم.

وأضاف: يجب أن ينظر كل مسلم إلى السلعة التي يستهلكها ومصدر إنتاجها ويرفضها إذا كانت من إنتاج هذه الدول حتى لا تتحول الأموال التي ندفعها إلى خناجر يتم قتل أولادنا بها، في حين أننا نستطيع الاستغناء عن هذه السلع.

وناشد المفتي كل مسلم أن يدفع دولارًا واحدًا لإخوانه المدافعين عن الأقصى، حيث الحصيلة هائلة «أكثر من مليار دولار» مما سيساعد على توفير فرص عمل للفلسطينيين بديلًا عن العمل لدى اليهود.

وفي صوت الأزهر: يقول فضيلة المفتي: إن المطلوب حاليًا هو محاربة إسرائيل اقتصاديًّا بمقاطعتها هي وكل من يساندها، لا نطلب هذا من الحكام، وإنما الشعوب؛ لأن إرادة الشعوب لن يُوقفها حكام، إذا أرادت الدفاع عن المقدسات الإسلامية بكل السبل الممكنة فهذا هو الطريق.

وفي حوار مع فضيلة المفتي نشرته جريدة العربي قال: كل منتج إسرائيلي وأمريكي مستورَد حرام، ويجب الاعتماد على المنتج المحلي خاصة الكماليات غير الضرورية من الملبس حتى السيارة، فذلك أقل أنواع الجهاد الذي يمكن لنا كمسلمين أن نفعله في سبيل تحرير المسجد الأقصى طالما أننا لا نستطيع الذهاب للجهاد بالنفس، كما أن في ذلك تشجيعًا للمصانع المحلية واليد العاملة في وطني، وأنا بذلك أفتح باب المنافسة وأشجع السوق الإسلامية المشتركة والتكامل الاقتصادي العربي.

وهل يتساوى المنتج الأمريكي مع المنتج الإسرائيلي في المقاطعة؟ فأجاب: لا جدال في ذلك؛ فأمريكا هي القوة الرئيسة لإسرائيل، وأمريكا تعلم أن وقوفها موقفًا محايدًا بين إسرائيل والعرب ستكون النتيجة سقوط إسرائيل أو على الأقل ستعتدل على الفور، فأمريكا وإسرائيل وحدة واحدة، ومقاطعة منتجاتها واجبة على الجميع على الجانب الشعبي، ومفروض أيضًا على الحكومات، لكن الشعب يستطيع الامتناع والمقاطعة، والحكومة لن تفرض على مواطن أن يشتري هذا ولا يشتري ذلك.

وماذا عن مستوردي هذه البضائع؟: قال: هو مرتكب إثمًا عظيمًا، بل ويعتبر أحد أسباب الهزيمة للعرب والمسلمين في الأراضي المحتلة، وأحد أسباب وحشية إسرائيل ومدعِّم لمزيد من المستوطنات الإسرائيلية على الأرض العربية؛ ولهذا يجب إقلاعه عن استيراد هذه البضائع، وإذا لم يمتنع وأغراه المال فعلى المستهلك ألا يتعامل معه وخسارته ستعلِّمه الدرس.

وقال: على كل مسلم أن ينظر إلى السلعة التي يستهلكها ومصدر إنتاجها، ويرفضها إذا كانت من إنتاج الدول المعتدية؛ حتى لا تتحول الأموال التي يدفعها إلى خناجر يتم قتل أولادنا بها، في حين أننا نستطيع الاستغناء عن هذه السلع.

«قاطعوهم ما استطعتم»: تفنيد حجج عدم المقاطعة المقنَّعة بالعلمية، المقاطعة أسلوب متحضر للتعبير عن الرفض. بقلم أ/فهمي هويدي

الحوار الدائر في مصر حول المقاطعة للمنتجات الصهيونية والأمريكية كشف عن أزمتين نعانيهما، كل منهما أعمق وأسوأ من الأخرى، الأولى: ثقافية، والثانية: اجتماعية؛ ولأنني لم استطع أن أتخلص من الشعور بالدهشة أو الصدمة لدى قراءتي لما نشرته بعض الصحف حول الموضوع، فلن أبدأ بالحديث عن أي من هاتين الأزمتين وإنما سأعود إلى إطلالة سريعة لما يحدث خارج ديارنا في أوربا بوجه أخص ربما لكي يشاركني القارئ الشعور بالدهشة.

(١) في إحدى القرى الصغيرة بمقاطعة «ساري» الإنجليزية رابط السكان أمام إحدى البنايات على ١٨ شهرًا متصلة لمنع إحدى الشركات الأمريكية من إقامة فرع لمطاعمها هناك باعتبار أن ذلك نوع من الاختراق والعدوان على نمط الغذاء المحلي، وهو ما رفضه الناس وأصروا على مقاومته ومقاطعته، وفي دفاعهم عن خصوصية أطعمتهم وهويتهم بالتالي فإنهم لجؤوا إلى تلك الخطوة لعدم تمكين الشركة من اختراق حياتهم، وإزاء ذلك الإصرار الذي لم يتزحزح الناس عنه طيلة السنة والنصف سنة لم تجد الشركة مفرًّا من التراجع، فألغت عقد الإيجار الذي كانت قد أبرمته مع الشركة مالكة البناية ورحلت عن قرية «هنتشلي وود» غير مأسوف عليها.

وفي شهر يوليو الماضي أقدمت مجموعة فرنسية تطلق على نفسها اسم جبهة المقاومة ضد الاضطهاد الرأسمالي على خطف الدُّمْيَة التي ترمز إلى شبكة المطاعم الأمريكية من أمام أحد فروعها في مدينة سانت الفرنسية، وأصدرت الجبهة بيانًا خفيف الظل لكنه عميق الدلالة قالت فيه: إن الدمية في صحة جيدة ولا تُقدَّم إليها المأكولات سوى اللحوم المعدة على الطريقة الفرنسية والأجبان، وحددت الجبهة مطالبها في ضرورة إضفاء الطابع الفرنسي على تلك المطاعم من قبيل أن تستخدم المطاعم جبنة الكامبير الفرنسية، وأن يرتدي العاملون فيها الزي التقليدي لمنطقة شارانت حيث تقع مدينة سانت، وأن تضع على طاولاتها شوكًا وسكاكين ومفارش عليها مربعات على غرار المطاعم الفرنسية التقليدية.

ذكر التقرير التي نشرته صحيفة الحياة اللندنية حول الموضوع في (١٠/ ٩) أن النبأ كان يمكن أن يبقى في خانة الطرائف لولا أجواء الاحتقان والتعبئة السائدة في عدد من الأوساط الفرنسية ضد المساعي التي ترى أن هدفها أمركة فرنسا بإلغاء ثقافتها والقضاء على اقتصادها.

ومقاومة الأمركة تجاوزت مسألة خطف الدُّمْيَة، وإنما ذهبت إلى ما هو أبعد من ذلك، ففي شهر أغسطس من العام الماضي قام رئيس نقابة الكونفدرالية الزراعية في فرنسا ـ اسمه جوزيه يوفيه ـ مع بعض

رفاقه بتحطيم واجهة ومحتويات المطعم الأمريكي في بلدة «مير» في تحد معلن لرموز الهيمنة الأمريكية، وقد أقدم يوفيه على تلك الخطوة أثر الخلاف الذي بين واشنطن وباريس حول مسألة الاستيراد والتصدير الذي أقدمت خلاله الولايات المتحدة على فرض حظر على بعض المنتجات الزراعية الفرنسية.

ومنذ حدثت واقعة تحطيم مطعم ماكدونالدز تحول جوزيه يوفيه إلى بطل شعبي في فرنسا وأصبح أحد نجوم الساحة السياسية باعتباره قائدًا لمقاومة الاجتياح الأمريكي؛ ولذلك فثمة حملة واسعة للتضامن معه وتأييده خصوصًا في القضية التي رفعتها الشركة الأمريكية ضده جراء ما أقدم عليه.

مجلة نيوزويك الأمريكية نشرت في عدد ٧/ ١١ الماضي تغطية واسعة للحملة ضد سلسلة المطاعم الأمريكية التي لها نحو خمسة آلاف فرع في القارة الأوربية، وتوفر ربع مليون فرصة عمل لأبناء أقطارها، مع ذلك فحملة مقاومتها شعبيًّا متصاعدة خصوصًا في فرنسا وإنجلترا وألمانيا وإيطاليا؛ ولتحسين سمعتها فإن الشركة الأمريكية عملت على إضفاء الطابع المحلي على ما تقدمه من أطعمة وحرصت في حملة إعلانات مضادة نظمتها لتأكيد أنها من مواليد الولايات المتحدة فحسب، ولكن ما تقدمه هو صناعة محلية.

(٢) حملة المقاطعة لما سمته بعض الصحف الأوربية «العم ماك» واعتبرته سفيرًا لأمركة أوروبا لا تتجاوز حدود الدفاع عن الهوية كما رأيتَ (للعلم الحملة شملت مشروبًا أمريكيًّا مشهورًا وملابس وملاهي أطفال ومحطة تلفزيونية وهى محل ترحيب من أبرز عناصر النخبة الأوربية على الأقل، فإنني لم أصادف معارضة أو نقدًا لتلك الحملة من جانب أحد المثقفين الأوربيين في حدود ما أتيح لي من متابعات.

ما الذي حدث في مصر حين نادى البعض بمقاطعة المنتجات اليهودية الأمريكية دفاعًا عن الأرض والعرض والكبرياء وغير ذلك مما انتهكته دولة الكيان مؤيَّدة بالولايات المتحدة وهو ما تجلى بشدة في انتفاضة الأقصى الأخيرة؟

لا استطيع أن أدعي إحاطة بكل ما جرى في مصر في هذا الصدد، لكني مع ذلك أزعم أن الدعوة لقيت صدى شعبيًّا واسع النطاق تجلى في انخفاض مبيعات المحال التجارية التي شاع بين الناس أن رأس المال الأمريكي أو اليهودي على علاقة بها، الأمر الذي دفع بعض المحال إلى نشر إعلانات في الصحف تعلن البراءة من تلك الشبهة.

لذلك فلستُ مبالغًا إذا قلتُ إن موقف الناس العاديين مطمئِن على الجملة، أما المقلِق حقًّا والمستفِز حقًّا فهو موقف بعض عناصر النُّخبة ممن أصبحوا يشكلون نتوءًا يسيء إلى الإجماع الوطني ويشوهه.

بين يدي نموذجان يعبران عن هذا الموقف، ولولا أنهما نُشرا على صفحات اثنتين من المطبوعات القومية لما استحقا ذكرًا ولا اهتمامًا، ولكن أما وقد حدث ذلك فقد وجب إزاءهما الإثبات والمراجعة.

النص الأول: نشرته في ٢٨/ ١٠ إحدى مجلاتنا الأسبوعية، وشنت فيه هجومًا حادًّا على دعوة المقاطعة، وقد وصف التعليق الذي وقع باسم المجلة الأمر الذي يعني أنه يعكس وجهة نظر رئاسة وهيئة تحريرها جميعًا وصف دعاة المقاطعة بأنهم قراصنة ومجموعة ضالة يحترفون ركوب الأمواج ويغلفون أفعالهم بعباءات تجعلهم في عيون الناس أبطالًا، هؤلاء ركبوا الموجة بعد أحداث الأقصى.

ما جرى في نظر المجلة ليس انتفاضة أو هَبَّة، ولكنه مجرد أحداث، وطبعوا منشورات ساخنة سوداء ساخطة وزعوها على الناس، وفيها يدعونهم للجهاد ويطالبونهم بالتخريب.

لاحظ الجمع بين الجهاد والتخريب واستحضر هنا لغة الخطاب الصهيوني ـ ومقاطعة المحال والشركات دون أن يعلموا حقيقة مَنْ هم أصحاب هذه المحال، وما إذا كانوا مصريين أو أمريكان أم يهودًا وتكون النتيجة مزيدًا من البلبلة.

ولكي يتجنب الوطن هجمات القراصنة ويحافظ على استقراره فليس هناك من سبيل ـ في رأي المجلة ـ سوى ترسيخ قيم التعامل الصحيحة مع مجتمع متحضر أهمها أن هناك وسائل كثيرة للاعتراض القانوني منها المسيرات السلمية التي تترك لأولي الأمر فرصة بلورة وصياغة رد الفعل المناسب.

لا أظن أن هذا الكلام الموغِل في تطرفه يحتاج إلى تعليق فإثباته يكفي في التعبير عن ما فيه من شذوذ وجنوح؛ لذلك فإنني سأتجاوزه وأنتقل إلى النموذج الثاني الذي أحسبه أكثر اعتدالًا في جنوحه ومن ثم أجدر بالمناقشة والمراجعة.

النص الثاني: مقال نشرته إحدى الصحف القومية اليومية ولم يعترض الكاتب فيه على مقاطعة ما صُنع أو زُرع في دولة الكيان ويتحفظ على مقاطعة الشركات المصرية التي تُتهم بالحق أو الباطل بالتعاون مع الصهاينة ويهون من حجم التعامل الاقتصادي مع دولة الكيان مشيرًا إلى أن حجم الصادرات الصهيونية للدول العربية لا يتجاوز ٧٥ مليون دولار، وهي قيمة ذكر أنها أقل بكثير من ١٪ من إجمالي الصادرات الصهيونية البالغة ٢ مليار دولار.

وقد أفهمُ تحفُّظه على مقاطعة الشركات التي تتهم بالتعاون مع الصهاينة بالباطل، ولكن الذي ليس مفهومًا هو أن يستمر التحفظ إذا كانت واقعة التعامل صحيحة لا بطلان فيه؛ لأننا إذا قاطعنا ما صُنع أو زُرع في دولة الكيان فلماذا لا نقاطع ما أسهمت فيه الاستثمارات الصهيونية حتى إذا كان قد صُنع في مصر، كذلك فإنني لم أفهم سبب تهوينه من حجم الصادرات الصهيونية للدول العربية؛ لأننا نتحدث

عن مبدأ وليس قيمة، مع ذلك فالقيمة التي ذكرها غير صحيحة لأن تقرير الصناعات في دولة الكيان عن عام ١٩٩٩ يشير إلى أن حجم الصادرات المباشرة وغير المباشرة إلى الدول العربية في ذلك العام ١٠١ مليون دولار.

غير أن أكثر ما يلفت النظر في النص المنشور هو الحجج التي أوردها لمعارضة مقاطعة المنتجات الأمريكية، وفي مقدمتها أن المقاطعة في هذه الحالة سوف تهدد الأمن القومي المصري لأن الولايات المتحدة سترد على مقاطعة شركاتها أو غيره بمنع تصدير السلاح أو قطع الغيار إلى مصر، في حين أن جل اعتماد القوات المسلحة الآن على السلاح الأمريكي، ثم إننا إذا قاطعنا البضائع الأمريكية فإن الولايات المتحدة سوف تحجب عنا السُّيَّاح الأمريكيين والأوربيين الأمر الذي سيؤدي إلى ضرب قطاع السياحة، ومن ثم تهديد الاقتصاد القومي بعد الأمن القومي.

تعليقي على هذا الكلام أنه فاسد في المنطق والحجة فهو يتحدث عن مقاطعة تتبناها الحكومات بينما المطروح هو مقاطعة شعبية لا تستند بالضرورة إلى قرار حكومي.

ثم إنه يقيس المسألة بحسابات اقتصادية وسياسية قوامها كيف تكون، بينما المطروح علينا في التحدي الراهن أبعد من ذلك بكثير بحيث نكون أو لا نكون، والمقاطعة في هذا السياق تُعد أضعف الإيمان والحد الأدنى المطلوب للمقاومة، وإذا جاز لنا أن نناقش التفاصيل والحجج فإن القول بأن المقاطعة ستهدد الأمن القومي لأنها ستدفع واشنطن إلى وقف تزويدنا بالسلاح مردود من ثلاثة أوجه:

الأول: لأن الذي لابد أن يختلف في حالة المقاطعة الشعبية لا الرسمية أو الحكومية.

الثاني: أن ذلك قرار لا تستطيعه الولايات المتحدة؛ لأن مبيعات السلاح للمنطقة تحقق لشركاتها العملاقة دخولًا هائلة لا تستطيع أن تستغني عنها بسهولة.

الثالث: فإنه على أسوأ الفروض فإن الولايات المتحدة ليست هي المصدر الوحيد للسلاح، فحجبه عنا لا يعني نهاية العالم بالنسبة لنا، فهناك أوربا وكوريا الشمالية والصين.

أما مسألة ضرب السياحة فالسياح الأمريكيون ليسوا أهم السياح الذين يفدون إلى مصر فضلًا عن أن الحكومة الأمريكية لا تستطيع أن تمنع السياح من القدوم إلينا وإنما قد تحذرهم فقط، ثم إنه ليس بوسعها ولا في سلطانها أن تمنع السياح الأوربيين أو اليابانيين من زيارة مصر.

(٣) الذين هاجموا مرة المقاطعة واستبسلوا في الدفاع عن المنتجات الصهيونية والأمريكية وأجهدوا أنفسهم في تبرير ذلك مرة باسم الدفاع عن الاستقرار ومرة بالدفاع عن الأمن القومي المصري ونسوا أو تناسوا أن الشعوب العربية تحركت وأثبتت ـ خصوصًا بعد انتفاضة الأقصى ـ حضورًا سياسيًّا

فعالًا، وأنها تريد أن تعبر عن غضبها وتبعث برسالة واضحة إلى كل من يهمه الأمر، تُعلن فيها رفض الاحتلال والاستكبار الصهيوني المؤيَّدَين أمريكيًّا، وبأي معيار وطني أو قومي، فهذه فرصة مواتية لعزل دولة الكيان وإزالة مظاهر اختراقها للواقع العربي، وهي أيضًا فرصة لمقاومة الأمركة التي تجتاح العالم العربي من أقصاه إلى أقصاه، الذين انتقدوا الفكرة تعاملوا معها وكأنها بدعة في عالم السياسة في حين أن مصر عرفت الدعوة إلى مقاطعة البضائع الإنجليزية بعد ثورة ١٩١٩ وعقب إلغاء المعاهدة البريطانية التي عرفت باسم معاهدة ١٩٣٦، ثم في عام ١٩٥١، ثم إن الولايات المتحدة تعد دولة رائدة في مجال المقاطعة والحصار للدول والشعوب غير الموالية لها من كوبا إلى إيران ومرورًا بليبيا وكوريا الشمالية والعراق والسودان.

إن دعاة المقاطعة عندنا لم يذهبوا إلى ما ذهبت إليه حملات رفض الأمركة في أوربا التي سبقت الإشارة إليها، وإنما غاية ما تطلعوا إليه أن يعبر الناس عن غضبهم ومرارتهم بالامتناع عن التعامل مع المنتجات الصهيونية والأمريكية باختلاف أنواعها صناعية كانت أو ثقافية، وهو ما استكثره عليهم نفر من المثقفين فتعاملوا مع فكرة المقاطعة وكأنها عمل غير مشروع ومستهجن، بينما هي مستقرة ومعمول بها في العالم المتحضر الذي يدعوننا للالتحاق به.

وهذا ما عنيته بالأزمة الثقافية التي كشفت عنها الحملة الشعبية التي كانت كلها مبادرات جماهيرية عبرت عما يحويه جديرة بالحفاوة، وفيها أيضًا سبقت الجماهير صفوف المثقفين وتفوقت عليهم في سلامة الإدراك وصفاء النفس.

(٤) تمنيت ألا يكون هناك خلاف حول مبدأ المقاطعة وأن يدور حوارنا حول التفاصيل بحيث لا نستهلك طاقة الحوار في الجدل حول هل نقاطع أم لا؟ وهل دعاة المقاطعة مخرِّبون أم لا؟ وإنما تنصب مناقشتنا حول السؤال: كيف تكون المقاطعة؟ وذلك أن الإجابة قد تكون سهلة فيما يخص البضائع الصهيونية أو رأس المال الصهيوني، وهي أصعب فيما يتعلق بالبضائع الأمريكية؛ لأنه أصبح من العسير الآن في حالات كثيرة تحديد ما إذا كان المنتج أمريكيًّا أم لا، خصوصًا بعدما أصبح المنتج يولد في بلد ثم يُصنع في أكثر من بلد آخر.

في هذا السياق تُطرح أفكار عديدة منها اعتماد منشأ السلعة كمعيار لهويتها حيث تظل الكوكا كولا ومطاعم ماكدونالدز وسجائر مارلبورو وكلها أمريكية الهوية حتى إذا تم تصنيعها أو إنتاجها في أي بلد أوربي أو أفريقي أو آسيوي، من تلك الأفكار أيضًا أن المقاطعة الأمريكية ينبغي أن تُدرس جيدًا في إطار كل قُطر من خلال المؤسسات الوطنية سواء كانت نقابية أو مهنية أو جمعيات لرجال الأعمال حيث

يفترض أن تقوم تلك الجهات بتعويض أو استيعاب العمال الذين قد يسرحون من جراء توقف العمل في الشركات الأمريكية التي يعملون بها إذا أُخذت الأمور على محمل الجد، ومن أهل الاختصاص من يدعو إلى تعاون في هذا الصدد بين المؤسسات والمنظمات الأهلية في الوطن العربي.

يزيد من تعقيد المشكلة في الواقع المصري أن الاختراق الأمريكي للأسواق أبعد بكثير مما يتصور كثيرون، وحين يقرأ المرء قوائم السلع الموزعة التي ينتجها أو يشارك فيها رأس المال الأمريكي يدرك أن ما من سلعة معتبرة في السوق إلا ووراءها أصابع أمريكية من مياه الشرب ومعجون الأسنان إلى السيارات والقمح، الأمر الذي يكشف عن ثغرة كبيرة في الصناعات الوطنية، ويكاد يوحي بأن مصر ليس فيها صناعة وطنية صرف، وهو وضع مؤسف يمثل تراجعًا عما كانت عليه الحال في الثلاثينيات والأربعينيات حين كان الاعتزاز بالصناعة الوطنية والدفاع عنها قيمة في المجتمع محل حفاوة وتشجيع من النخبة.

وهذا جوهر ما سميتُه بالأزمة الاجتماعية التي يشكل الاقتصاد محورها، الأمر الذي ذكرني بما قاله **الشيخ محمد الغزالي** ذات مرة من أننا إذا تأملنا هيئتنا أو قلنا لكل شيء نرتديه عد إلى بلادك فسنفاجأ بأننا صرنا عراة لا نملك ما نستر به عوراتنا.

يبدو أن الحقيقة أَمَرُّ من ذلك، وأن الأمر لا يقتصر على ما نرتديه فحسب، وإنما اتسع الرتق حتى شمل جوانب أخرى عديدة من حياتنا المعيشية اليومية أصبحنا نعتمد فيها على الخارج وليس على أنفسنا، الأمر الذي يلقي بظلال قاتمة على استقلالنا الاقتصادي، ويؤثر بالسلب على الإرادة الوطنية، برغم كل ذلك فإنني أتمنى ألا توهن الأزمة والضغوط التي استصحبتها من عزائم دعاة المقاطعة الذين أتمنى أن يكون شعارهم: **قاطعوهم ما استطعتم إلى ذلك سبيلًا**. فهمي هويدي.